بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيدالمرسلين الذي كفاه الله تعالى شر الكافرين والمنافقين المعترضين المستهزئين الجاحدين ورضي الله تعالى عن آل بيته أئمة الدين وصحابته الداعين المجاهدين والتابعين وتابعي التابعين الى ان يرثها الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

يتردد في الفترة الاخيرة في اروقة الجامعة في الاجتماعات والندوات والمؤتمرات عبارة(الجامعة في خدمة المجتمع)وانطلاقا من هذه المقولة قررت الكتابة في هذا الموضوع (اقوال المشركين المجملة الموجهة الى النبي(ﷺ)في القرآن الكريم/ دراسة موضوعية)لأنني احسست ان كثيرا من المسلمين يمرون اليوم بظروف مشابهة لما مر به النبي(ﷺ)والمسلمون قبل ان يشرع لهم الجهاد في سبيل الله تعالى وهو ما تتحث عنه الايات المدروسة في هذا البحث بالرغم من انها آيات منسوخة. لقد كان النبي(ﷺ)في قلة من اصحابه الذين دخلوا دين الاسلام حديثا وهم فقراء في الغالب ضعفاء قياسا باعدائهم من المشركين فأمرهم الله تعالى بكثرة العبادة والذكر ليكونوا مستعدين للجهاد بعد ذلك حتى ازداد ايمانهم وتكاثرت اعدادهم فهاجروا الى المدينة المنورة واقاموا دولة أذن الله تعالى لهم بالجهاد فأسسوأ جيشا باسلا يقاتل الاعداء وينشر دين الله في كل مكان .وكثير من المسلمين يعيشون تحت سلطان حكام لايهتمون بالدفاع عن حقوق شعوبهم المغتصبة مهما كانت والمسلمون بلا حول ولاقوة تجاه قوة الكافرين المعتدين عليهم وعلى حقوقهم.

لقد عبرت هذه الايات عن فترة زمنية مر بها النبي(ﷺ)والمسلمون ثم تجاوزوها ليردوا كيد الاعداء الى نحورهم ويجاهدوا في سبيل الله تعالى وينشروا دينه ويرفعوا راية الاسلام عالية خفاقة.

والمسلمون اليوم بحاجة الى السعي الى ماسعى اليه النبي(ﷺ)من استحصال اسباب القوة والمنعة ورفع الهمة وشد العزيمة والتمسك والحقيقي بجوهره الدين لينصرهم الله تعالى على اعدائهم لقوله تعالى:{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}. [1]

ان الله تعالى لم ولن يتخلى عن عباده المسلمين الصادقين ولكنه تعالى امرنا بالاخذ بالاسباب واعداد العدة للدفاع عن ديننا وارضنا وعرضنا لان الاعداء لايموتون الاباجالهم ولاتصيبهم المصائب الافي الزمان والمكان الذين قدر الله تعالى فيهما ذلك فمن الواجب على المسلمين الاخذ بالاسباب المادية والمعنوية كلها لرد العدوان عن

١ـ سورة الحج: من الآية: ٤٠.

امتنا واستعادت حقوقها المغتصبة والعودة الى دورها الفاعل الرئيس في قيادة ركب الحضارة الانسانية.

ان منهجي في هذا البحث يتمثل بجمع الايات التي تخص الموضوع ،وتقسيمها واستنباط لكل آية عنونا يتلائم مع معناها ،واعتماد المعاجم اللغوية وكتب الغريب والوجوه والنظائر ؛لتوضيح بعض الالفاظ التي تحتاج الى ذلك ،والرجوع الى امهات كتب التفسير ؛لمعرفة معاني الايات ،وذكر بعض اسباب النزول ،والناسخ والمنسوخ ،ومحاولة بيان رأيي في بعض الاقوال ،وربط الايات بالواقع ومحاولة الاستفادة من معانيها في الوقت الحاضر.

وقد اقضت المادة العلمية لهذا البحث ان تكون الخطة مكونة من مقدمة ،وتمهيد ،وستة مطالب،وقد كان المطلب الاول منها بعنوان: تكذيب النبي(ﷺ)بسبب الجحود، وجاء الثاني بعنوان:مايضيق صدره الشريف(ﷺ)،وسميت المطلب الثالث: ملازمة النبي(ﷺ)للصبر والتسبيح، وكان عنوان المطلب الرابع: ذكر النبي(ﷺ) لداود عليه السلام،ثم تلاه المطلب الخامس الذي وسمته بـ :عدم كون النبي(ﷺ) جبارا،وجاء المطلب السادس والاخير بعنوان:هجر النبي(ﷺ)للمشركين،ثم جاءت الخاتمة وأهم ماتوصلت اليه من النتائج،وتلتها المصادر والمراجع.

وفي الختام فهذا ما استطعت تحصيله،وسمح الوقت لي بتسطيره مع كثرة الاشغال ،وتردي الاحوال فأن كان حقا وصوابا ؛فالحمدلله على هذه النعمة وما سبقها وماتلاها ؛وان كان غير ذلك فأقول:{لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }[1]وهو حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليما.

تمهيد

:في اقسام آيات الاقوال المجملة الموجهة الى النبي(ﷺ)ومعانيها.

١ـ سورة الانبياء:من الآية:٨٧.

تنقسم اقوال المشركين التي وجههوها الى حضرة النبي(ﷺ)معترضين عليه غير مقرين بنبوته الى قسمين هما:

القسم الاول:وهو مالم يصرح فيه القرآن الكريم بمضمون اقوال المشركين وانما تركه مجملا ،وعدد آياته سبع آيات ولكنه اخبر في الاية الاولى:ان ذلك القول يحزن النبي(ﷺ)،وفي الاية الثانية:انه يضيق صدره الشريف ،وأمره في الايات الثالثة والرابعة والخامسة والسابعة:بالصبر على سماع ذلك القول منهم ،وبين له في الاية السادسة: انه يعلم مايقولونه وتلك الايات هي:

١. قول الله تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}.(١)

٢. قول الله تعالى:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}.(٢)

٣. قول الله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}.(٣)

٤. قول الله تعالى:{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}.(٤)

٥. قول الله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}.(٥)وهذه الآية مشابهة للآية الثالثة.

٦. قول الله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}.(٦)

٧. وقول الله تعالى:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}.(٧)

والقسم الثاني:وهو ما صرح فيه القرآن الكريم بمضمون اقوال المشركين تفصيلا كالطعن في القرآن الكريم ،أو انكارتغيير دين الاباء والاجداد ،أواتهامهم له(ﷺ) حاشاه انه ساحر ،أو شاعر أومجنون أو انه مجرد بشر أوانه مفتر أوانه مدعي ليس

١ـ سورة الأنعام:الآية:٣٣.
٢ـ سورة الحجر:الآية:٩٧.
٣ـ سورة طه:الآية:١٣٠.
٤ـ سورة ص:الآية:١٧.
٥ـ سورة ق:الآية:٣٩.
٦ـ سورة ق: الآية:٤٥.
٧ـ سورة المزمل:الآية:١٠.

له معجزات ،ويصل عدد ايات هذا القسم الى سبع وعشرين آية وقد قسمتها الى ثمانية انواع ومثلت لها ببعض الايات وهي:

النوع الاول:وهو ماعبر عن قول المشركين بان القرآن الكريم مجرد اساطير الاولين نقلها النبي(ﷺ)عمن سمعها منه ،وقد كانت الاساطير(حكايات خيالية قديمة) منتشرة في المجتمع الجاهلي يقصها اشخاص معينون على سائر الناس للتسلية والمتعة في مجالس السمر فهي ليست من عند الله تعالى ومن الآيات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}.(١)

ب . قول الله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}.(٢)

النوع الثاني: انكارهم على النبي(ﷺ)تغيير دينهم المقدس الدين الذي ورثوه عن الاباء والاجداد ،والذي وجدوهم عليه حينما ميزوا بين الاشياء ،وانه قد اتى من عند نفسه بدين جديد محدث مبتدع وهو يدعو الى توحيد الله ،ونبذ ماسواه من الانداد ومن الايات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}.(٣)

ب . قول الله تعالى:{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.(٤)

النوع الثالث:زعمهم ان النبي(ﷺ)حاشاه مجرد بشر وذلك بحجة انه يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؛فكانت بشريته حجابا مانعا من ايمانهم به فهو في نظرهم مدعي لايوحى اليه ،وان النبي المرسل يجب ان يكون ملكا كريما ليؤمن به الناس ،أو يأتي بصحبته ملك على الاقل ومن الايات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً}.(١)

١ـ سورة الأنعام:الآية:٢٥.
٢ـ سورة الانفال:الآية:٣١.
٣ـ سورة البقرة:الآية:١٧٠.
٤ـ سورة الاعراف:الآية:٧٠.
١ـ سورة الفرقان:الآية:٧.

ب . قول الله تعالى:{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً}.(٢)

النوع الرابع:اتهامهم للنبي(ﷺ)حاشاه بالجنون ؛وقالوا انهم لايزالون يعالجونه منه لتنفير الناس عن اتباعه والدخول في دينه الذي يدعوا اليه ،وهم يعلمون علم اليقين انه اعقل من عرفوه من الناس وان الحكمة كانت تتفجر من جوانبه ومن الايات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}.(٣)

ب . وقول الله تعالى:{ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ}.(٤)

النوع الخامس:اتهامهم للنبي(ﷺ)حاشاه بأنه يمارس فنونا من السحر وربما كان هذا تفسيرا خاطئا لما يرونه منه من خوارق العادات(المعجزات)التي يظهرها للناس ليؤمنوا به ،بالاضافة الى زعمهم انه قد اتى بدين يفرق به بين الاباء والابناء والازواج والزوجات ...الخ ومن الايات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}.(٥)

ب . قول الله تعالى:{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}.(٦)

النوع السادس:اتهامهم للنبي(ﷺ)حاشاه انه شاعر كبقية الشعراء الذين تزخر بهم الامة العربية في ذلك الزمان ،زمان الجاهلية وهو ينظم الاشعار من عند نفسه ويزعم انها كلام الله تعالى ،وانه نبي مرسل من عنده وربما كان ذلك بسبب مايتذوقونه من بلاغة القرآن الكريم ،وكون بعض آياته على اوزان بعض البحور الشعرية ،بالاضافة الى تأثيره البالغ في سامعيه ومن الايات الدالة على هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ}.(١)

٢ـ سورة الاسراء:الاية:٩٤.
٣ـ سورة الحجر:الآية:٦.
٤ـ سورة الدخان: الآية:١٤.
٥ـ سورة الصافات:الآية:١٥.
٦ـ سورة الذاريات: الآية:٥٢.

١ـ سورة الانبياء:الآية:٥.
٢ـ سورة الصافات: الآية:٣٦.
٣ـ سورة النحل: الآية:١٠١.

ب . قول الله تعالى:{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ}.(٢)

النوع السابع:اتهامهم للنبي(ﷺ)حاشاه بالافتراء اذ ان الله تعالى بحسب زعمهم لم يبعثه وانا جاء هو من عند نفسه،ولم ينزل عليه كتابا من السماء بل ألف هو كتابا ونسبه الى الله تعالى ومن الايات الدالة هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}.(٣)

ب . قول الله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}.(٤)

النوع الثامن:اتهامهم للنبي(ﷺ)حاشاه بمجرد ادعاء النبوة من غير اظهار المعجزات الدالة على صدقه ؛بخلاف الانبياء السابقين الذين كانوا يظهرونها لاقوامهم لكي يؤمنوا بهم مع ان للنبي(ﷺ)معجزات كثيرة ولكنهم لايرضون الابما يقترحون هم من المعجزات وهم لو ظهرت وفق مايطلبون لما امنوا لانهم ليسوا طلاب حق بل قاصدون للتعجيز والاستهزاء ومن الآيات الدالة هذا القسم:

أ . قول الله تعالى:{وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}.(٥)

ب . قول الله تعالى:{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}.(٦)

هذه هي معاني اقوال المشركين التي وجهوها الى حضرة النبي(ﷺ)عندما دعاهم الى الدخول في دين الاسلام.

إن تخبط المشركين في كيلهم للاتهامات الموجهة الى حضرة النبي(ﷺ)واضح جدا ؛فهم لم يتفقوا على تهمة واحدة او تهمتين ولم يقتصروا على عدد معقول من الاتهامات غير المتعارضة ؛ليكون ادعاءهم اقرب الى القبول عند من يجهلون حقيقة النبي(ﷺ)من الناس ؛لذلك باءت محاولاتهم لصد الناس عن اتباعه(ﷺ)بالفشل الذريع ؛حتى ان بعض من كان يكيل تلك التهم قد انقاد في نهاية الامر للاسلام وآمن بالنبي(ﷺ)

٤ـ سورة سبأ:الآية:٤٣.
٥ـ سورة العنكبوت: الآية:٥٠.
٦ـ سورة الرعد: الآية:٧.

وكون تلك التهم غير مقبولة يتبين من وجوه متعددة منها:ان بعضها ينافي بعض فتهمة الجنون تدل على فقدان العقل وعدم التفكر أو التحكم بالاقوال ،والافعال فكيف تتفق مع تهمة الشعر التي يحتاج فيها الشاعر الى حس مرهف ،وشعور متميز ،وعلم بالعربية كالنحو والصرف ،وخزين من الالفاظ والمعاني ليأخذ منها عند النظم وحفظ لبحور الشعر بالاضافة الى الخيال الواسع لاستخدام الالفاظ فيما يروم رسمه من الصور والمعاني .

وتهمة الشعر الذي هو كلام موزون ومقفى بالنسبة للقرآن الكريم تخالف كونه اساطير الاولين ؛لانها كلام منثور ،والشعر من نظم من يقوله والاساطير لادور لناقلها فيها الاالسماع من الناس ثم روايتها للاخرين،ولوتحدثت عن تعارض كل تهمة مع الاخرى لطال بنا الحديث ولكنني اكتفيت بتنبيه القارىء على ذلك ولن يعجز هو عن ادراك بقية وجوه التعارض بمجرد التفكر فيها.

المطلب الاول:

تكذيب النبي(ﷺ)بسبب الجحود.

قال الله تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}.([1])

١ـ سورة الانعام:الآية:٣٣.
٢ـ سورة الانعام: من الاية:٢٥.

ربما كان اتصال هذه الاية بقوله تعالى حكاية عن المشركين:{إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}(٢)وقوله تعالى:((قد نعلم))أي:قد علمنا فاللفظ لفظ المستقبل ومعناه معنى الماضي(٣)، ((وقد)) هنا للتعبيرعن زيادة الفعل وكثرته(٤)وهو قول الزمخشري(٥)،والتبريزي(٦)رحمهما الله.وهي هنا بمعنى ربما(٧)أو للتحقيق كما قال غيرهما(٨)وقد رد ابوحيان رحمه الله قول الزمخشري معللا ذلك ؛بأن علم الله تعالى لايمكن القول فيه بزيادة ،أو تكثير ورجح كونها للتحقيق والتوكيد (٩) وأورد قول مكي رحمه الله :(قد هنا تأتي لتأكيد الشيء

وإيجابه وتصديقه)[1]وقوله تعالى:((انه ليحزنك الذي يقولون))(الهاء في ((إنه)) ضمير الشأن ليحزنك)(٢)وقد قرأت لفظة ((ليحزنك)) بفتح الياء وضمها.(٣)وهو

٣ـ ينظر:إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ـ لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العبكري راجعه وعلق عليه نجيب الماجدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨ هـ:٢١٥.

٤ـ ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل:لإمام القاضي ناصر الدين ابي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٤ ـ ٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ :٢٩٨/١،و البحر المحيط ـ لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ـ تحقيق عادل احمد واخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ٢٠٠١هـ١٤٢٢ م:١١٥/٤.

٥ـ ينظر:تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ـ تأليف ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ ـ اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ـ ٢٠٠٥ـ ١٤٢٦هـ :٣٢٥.

٦ـ ينظر:الكشاف:٣٢٥،والبحر المحيط:١١٥/٤.

٧ـ ينظر:الكشاف:٣٢٥.

٨ ـ ينظر:تفسير الامامين الجلالين بهامش القرآن الكريم ـ العلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلي، والشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ـ عالم الكتب ـ بيروت:١٧٣.

٩ـ ينظر:البحر المحيط:١١٥/٤.

١ـ البحر المحيط:١١٥/٤.

٢ـ الكشاف:٣٢٥.

٣ـ المصدر نفسه.

٤ـ ينظر:المصدر نفسه.

٥ـ ينظر المصدر نفسه،وتفسير الجلالين:١٧٣.

٦ـ أسباب النزول ـ لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري ـ تعليق وتخريج :د. مصطفى ديب البغا ـ دار المصطفى ـ دمشق ـ ط ١ـ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م:١٨٢، والكشاف :٣٢٥ ،والجامع لاحكام القرآن ـ لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ت ٦٧١هـ ـ اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري ـ دار احياء التراث العربي ـ ط١ـ ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م :٢٨/٧.

قولهم عن حضرة النبي(ﷺ)انه ساحر(٤)،وكذاب (٥)حاشاه. وقد وردت في أسباب النزول رواية تبين حقيقة قول المشركين الذي أحزن النبي(ﷺ)وهي:(قال ابو ميسرة: ان رسول الله مر بأبي جهل واصحابه. فقالوا: يامحمد،إنا والله مانكذبك وإنك عندنا لمصدّق،ولكن نكذب ماجئت به. فنزلت).(٦) وفي رواية اخرى ان القائل هو ابو جهل بمفرده.(٧)وقد اختلف المفسرون في حقيقة القول الذي أحزنه(ﷺ)على اقوال منها:ألقول الاول:قولهم عن حضرته(ﷺ)انه ساحر وشاعر،وكاهن ومجنون ،وهو قول الحسن رحمه الله.(٨)

القول الثاني:انه مواجهتهم لحضرته الشريفة(ﷺ)جهاراً بعدم إيمانهم به وبعدم قبولهم لدينه.[1]وهو الاقرب وفق مايُفهم من أسباب النزول.

٧ـ تفسير النسفي المعروف بمدارك التنزيل وحقائق التأويل الامام الجليل العلامة ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ـ تحقيق مجدي منصور ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ مصر:١٥/٢،والبيضاوي:٢٩٩/١.

٨ـ ينظر:التفسير الكبير، او مفاتيح الغيب للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ٥٤٤ـ ٦٠٤ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ٢٠٠٩م:١٦٨/١٢.

١ـ ينظر:تفسير:للرازي:١٦٨/١٢.

٢ـ ينظر: المصدر نفسه.

٣ـ ينظر:البحر المحيط:١١٥/٤.

٤ـ ينظر:إملاء مامن به الرحمن:٢١٥،والحجة في القراءات السبع ـ لابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه ت ٣٧٠هـ ـ تحقيق احمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ:٧٣.

٥ـ ينظر:المصادر نفسها.

٦ـ ينظر:المصادر نفسها.

٧ـ ينظر:المصادر نفسها.

٨ـ التذكرة في القراءات لأبي الحسن طاهر بن غلبون حققه :سعيد صالح زعيمة، دار الكتب العلمية،بيروت ـ لبنان، ط ١ ،١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م:٢٥٣.

٩ـ ينظر:تفسير النسفي:١٥/٢.

١٠ـ التذكرة:٢٥٣.

١١ـ املاء مامن به الرحمن:٢١٥.

القول الثالث:نسبتهم له(ﷺ)الى الكذب.(٢)حاشاه.

القول الرابع:ذكرهم ان له (ﷺ)رئي(تابع)من الجن يوحي اليه هذا القرآن.(٣)

قد وردت في قوله تعالى:((فإنهم لايكذبونك))قراءتان هما:((لايكذّبون))بالتشديد (٤)وهي بمعنى: لايجعلونك كاذبا اي: لايقولون ذلك عنك(٥)وبالتخفيف(٦) أي: لايطلعون على انك كاذب(٧)والقراءة الثانية قرأ بها نافع والكسائي والاعشى (٨)وقيل: ان علي قرأ بها ايضا(٩)وقرأ الباقون بالقراءة الاولى.(١٠) ويرى العكبري ان لقراءة التشديد معنى واحد وهو: انهم قبل دعواك للنبوة لم ينسبوك البالكذب ؛بل عرفت بينهم بالصدق والامانة، ولقراءة التخفيف معنيان:الاول كمعنى القراءة المشددة،والثاني انهم لايجدونك كاذبا في حقيقة الامر(١١)

وفي معنى عدم تكذيبه وجوه منها:

الوجه الاول:انهم حين يجحدون بايات الله ؛لايكذبونك في حقيقة الامر بل يكذبون الله تعالى.[١]

الوجه الثاني:انك عندهم لصادق مصدق ولكنهم يجحدون بالمعجزات الالهية الدالة على نبوتك.(٢)

١ـ ينظر: الكشاف:٣٢٥.
٢ـ ينظر:المصدر نفسه.
٣ـ ينظر:تفسير الجلالين:١٧٣.
٤ـ ينظر:تفسير النسفي:١٥/٢.
٥ـ ينظر:اعراب النحاس:لابي جعفر بن محمد بن اسماعيل النحاس ت ٣٣٨ هـ ـ اعتنى به الشيخ خالد العلي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٢ـ ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م:٢٦٢.
٦ـ ينظر:البحر المحيط:١١٦/٤.
٧ـ ينظر: المصدر نفسه.
٨ ـ ينظر:المصدر نفسه.

الوجه الثالث:انهم يكذبونك في العلانية من باب العدواة ؛ولايكذبونك في السر لانهم موقنون بصدقك.(٣)وبه قال ابن السائب ومقاتل.(٤)

الوجه الرابع:انهم يكذبونك بغير حجة ولابرهان(٥).وهو قول قتادة والسدي.(٦)

الوجه الخامس:ان المكذبين ليسوا كل المشركين بل بعضهم دون بعض.(٧)

الوجه السادس:انهم لايكذبونك تكذيبا يضر بك لانك لست كاذبا فتكذيبهم كعدمه.(٨)

الوجه السابع:انهم لما انكروا دلالة المعجزة على اثبات النبوة ؛لم يكذبوك خاصة بل كذبوا جميع الانبياء ،والمرسلين عليهم السلام.[١]

الوجه الثامن:هم لايستطيعون تكذيبك فيما أنبأت به مما هو في كتبهم نُسب هذا القول الى الزجاج رحمه الله(٢)وهو خاص بأهل الكتاب.

ويؤيد الوجه الثالث قول مقاتل رحمه الله:(نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب،كان يكذب النبي(ﷺ)في العلانية،واذا خلا مع اهل بيته قال:مامحمد من أهل الكذب،ولا أحسبه الاصادقا، فأنزل الله هذه الاية).(٣)

واذا رجعنا الى بعض روايات أسباب النزول الخاصة بالآية سنجد أن ماحمل المشركين على تكذيب النبي(ﷺ)هو مجرد الحسد والرواية هي:(قال السدي التقى الأخنس بن شريق وابو جهل بن هشام،فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم،أخبرني عن محمد،أصادق هو أم كاذب؟ فانه ليس ههنا أحد يسمع كلامك غيري.فقال أبو جهل: والله إن محمد لصادق،وما كذب محمد قط،ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فانزل الله هذه الاية).(٤)بل قال أمية بن أبي الصلت معبرا عن نظرة قبلية ضيقة ومتعصبة:(ما كنت لأؤمن بنبي لم يكن من ثقيف)(٥).

١ـ ينظر:البحر المحيط:١١٦/٤.
٢ـ ينظر:المصدر نفسه.
٣ـ اسباب النزول:للواحدي:١٨٢.
٤ـ المصدر نفسه ، وينظر:الكشاف:٣٢٥ ،والبحر المحيط:١١٦/٤.
٥ـ البحر المحيط:١١٦/٤ـ١١٧.
٦ـ معجم مفردات الفاظ القرآن ـ تأليف العلامة ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعرف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٣هـ ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده ابراهيم شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ:٣٥٣.
٧ـ اساس البلاغة ـ للامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ ـ تحقيق الاستاذ عبد الرحيم محمود ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان:٢٩٠.

وقوله تعالى:((ولكن الظالمين بأيات الله يجحدون))(الظلم ...وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة،وإما بعدول عن وقته أومكانه...ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والصغير)(٦)ويقال: (عند فلان ظلمتي:حقي الذي ظلمته، وتظلمني حقي،وتظلمت منه الى الوالي)(٧)

((يجحدون))(الجحد في اللغة إنكارك بلسانك ماتستيقنه نفسك)[1]وفي الاصطلاح: (الجحود نفي مافي القلب أثباته وإثبات مافي القلب نفيه)(٢)وجحود المشركين بالايات هو: تكذيبهم بالمعجزات الدالة على صدقه النبي(ﷺ)فهم ينكرون دلالة المعجزة على صدق من اظهرها في ادعاء النبوة.(٣)ولأنهم انكروا آيات الله التي تجلى بها على عباده فانه تعالى سينتقم منهم(٤)وذلك جزاء الجاحدين.والامر بالصبر على اقوال المشركين في هذه الاية منسوخ.(٥)وقد بشر الله تعالى النبي(ﷺ)بقوله:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ}(٦)

لقد كان النبي حضرت(ﷺ)حريصا على هداية امته الضالة وعلى نجاتها من هلاكها العظيم؛وهذا كله نابع من كونه الرحمة المهدات الى العالمين هذه هي حقيقة حزن النبي(ﷺ)في هذا المقام، بالاضافة الى إن الصادق الذي لم يكذب ابدا يحزنه ان يتهم بالكذب ،وصاحب العقل الراجح الذي تستنير بهديه عقول اعظم العقلاء يحزنه أن يُتهم بالجنون.ان المسلم في ايامنا هذه غالبا مايسمع مايحزنه من اقوال المنافقين والجاهلين الذين يطعنون بدين الاسلام ويعترضون على كل ماهو إسلامي ؛متأثرين بالحضارة المادية الغربية الخاوية ،ومايحزنه من أنباء المسلمين في كل أنحاء العالم وهم يتعرضون لحرب من جميع الامم التي ما اجتمعت قط إلا على حربهم فحري به ان يقتدي بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم في مواجهة ذلك كله.

١ـ تفسير غريب القرآن ـ تأليف ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ـ تحقيق السيد احمد صقر ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م:٢٧.

٢ـ المفردات: ١٠٠،وينظر:الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ لابي البقاء ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ت ١٠٩٤هـ ـ تحقيق د .عدنان درويش،ومحمد المصري ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ٢٠١١م:٢٩٧.

٣ـ ينظر:تفسير: للرازي :١٦٩/١٢.

٤ـ ينظر:روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ـ تأليف العلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ـ دار احياء الثراث العربي ـ بيروت:٤ /١٣٣.

٥ـ ينظر:الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، للقاضي أبي بكرمحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن العربي المعافري المالكي،وضع حواشيه:الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط ٤: ١٦٦.

٦ـ سورة الانعام:الاية:٣٤.

المطلب الثاني:ضيق صدره الشريف(ﷺ).

قال الله تعالى:{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.(١)

لهذه الاية الكريمة تعلق واضح بما قبلها وهو قوله تعالى:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}(٢)أي:اظهر امرك وشأنك وما تأمر به من الشرائع(٣)،ولاتبال بالمشركين اذا لاموك على ذلك(٤)؛لأن الله تعالى سيكفيك اذى المشركين الذين تمادوا في الشر كما كفاك أذى المستهزئين وهم خمسة من زعماء مكة المكرمة وهم:الوليد بن المغيرة،والعاص بن وائل،والاسود بن المطلب بن اسد،والاسود بن عبد يغوث،والحارث بن الطلاطلة وقد اهلكهم الله تعالى في يوم واحد لاستهزائهم برسوله(ﷺ)(٥)قال الرازي رحمه الله:(قال بعضهم:هذا منسوخ باية القتال وهو ضعيف،لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم فلايكون منسوخا)(٦)وقوله تعالى:((ولقد نعلم))أي:تحقق علم الله العظيم(٧)((انك))مع مالك من الحلم ،وسعة الصدر(٨)((يضيق صدرك))والضيق(بالتشديد في الاجرام وبالتخفيف في المعاني؛وقيل:بالكسر والتخفيف في قلة المعاش والمساكن،وماكان في القلب فهو ضيق بالتشديد وقيل: بالكسر في الشدة وبالفتح في الغم)(٩)والضيق ضد السعة ومما

يستعمل فيه الفقر والبخل والغم.(١)(ومن المجاز...هو من امره في ضيق وضاقت عليه الحيلة...وقد ضاق صدره،وله نفس ضيقة)(٢).

١ـ سورة الحجر:الاية:٩٧ـ٩٩.
٢ـ سورة الحجر:الايات:٩٤ـ٩٦.
٣ـ ينظر: تفسير الرازي:١٧٠/١٩.
٤ـ ينظر:المصدر نفسه.
٥ـ ينظر:تفسير القرطبي:٤٣/١٠.وهناك اقوال لأنس وابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وعكرمة وغيرهم تفصل القول في عدد المستهزئين واسمائهم وعقوبتهم .ينظر:تفسير القرآن العظيم،للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير،دار المفيد،بيروت، لبنان :٥٦٠/٢ـ٥٦١.
٦ـ تفسير الرازي:١٧٠/١٩.
٧ـ ينظر:نظم الدررنظم الدرر في تناسب الايات والسور:لبرهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي،تحقيق عبدالرزاق غالب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٤هـ :٢٤١/٤،وتفسير الجلالين:٣٥١.
٨ـ تفسير البقاعي:٢٤١/٤.
٩ـ الكليات:للكفوي:٤٢٨.

والمراد بالصدر هنا القلب لانه محله وقد عبر بصيغة المضارع ليفيد تجدد الضيق بسماع اقوالهم(٣)((بما يقولون))من الشرك بالله (٤)،وإدعاء ان له صاحبة وولد(٥)،ومن الاستهزاء بك والتكذيب لك(٦)،والطعن في كتاب الله الكريم(٧) ،والنيل منك ومن اصحابك(٨)وقيل:هواتهامهم له(ﷺ)بالجنون كما حكاه عنهم القرآن الكريم في قولهم في بداية هذه السورة:{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}(٩)(١٠)((فسبح))(فافزع فيما نابك الى الله،والفزع الى الله هو:الذكر الدائم وكثرة السجود،يكفيك ويكشف عنك الغم)(١١)ومن معاني التسبيح تنزيه الله تعالى عن جميع النقائص ومنها:ان يكون حاشاه غافلا عما يفعله ويقوله المشركون ،واثبات جميع صفات الكمال له ومنها: إعزازه لاوليائه واذلاله لأعدائه(١٢) ((بحمد ربك))متلبسا به(١٣)((وكن من الساجدين))أي:المصلين الذين لازموا الخضوع لله فهي:أعظم صور الخضوع يكفيك ما أهمك لانه لاكافي غيره ،ولاملجأ سواه وعبر بلفظ السجود ؛لشرفه وتنبيها على مايستحب فيه من الدعاء (١٤)وقد قال بعض المفسرين: ان السجود مراد هنا حقيقة اذ قال القرطبي:(ذكر ابو بكر النقاش ان ههنا سجدة عند أبي حنيفة ويمان بن رِئاب،ورأى انها واجبة)(١٥)((واعبد ربك حتى ياتيك اليقين))قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:(يريد الموت وسمي الموت يقينا لانه

١ـ ينظر:المفردات:٣٣١.
٢ـ اساس البلاغة:٢٧٤.
٣ـ ينظر:تفسير القرطبي:٤٤/١٠
٤ـ ينظر تفسير البقاعي:٢٤١/٤.
٥ـ ينظر:تفسير البيضاوي:٥٣٦/١.
٦ـ ينظر:تفسير البقاعي:٢٤١/٤.
٧ـ ينظر:الكشاف:٥٦٦،وتفسير الجلالين:٣١٥.
٨ـ ينظر:الكشاف:٥٦٦،وتفسير البيضاوي:٥٣٦/١.
٩ـ ينظر:تفسير القرطبي:٤٤/١٠.
١٠ـ سورة الحجر:من الاية:٦.
١١ـ ينظر:تفسير البقاعي:٢٤١/٤،والالوسي:٣٣٠/٧.
١٢ـ الكشاف:٥٦٦.
١٣ـ ينظر:تفسير البقاعي:٢٤١/٤.
١٤ـ ينظر:المصدر نفسه.
١٥ـ ينظر :المصدر نفسه.

امر متيقن)[1]وهو قول مجاهد وقتادة والحسن(٢)وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم(٣)والمعنى دم على عبادة ربك مدة حياتك ولاتتركها حتى ياتيك الموت وأنت عليها.

(وقد قيل ان اليقين هنا الحق الذي لاريب فيه من نصرك على اعدائك؛ قاله أبن شجرة)(٤)والقول الاول أصح(٥)إلا ان الثاني قد يكون مرادا ؛اذلايختص لفظ اليقين بالموت حصرا فقد يراد به غيره ،وهو ضد الشك بالاضافة الى ان صبر النبي (ﷺ)على المشركين لم يستمر الى نهاية حياته الشريفة بل انتهى بعد ان أذن الله تعالى للمؤمنين بالجهاد فنال المشركون عقابهم بالقتل والاسر والجرح والاذلال وشفى الله قلوب المؤمنين منهم والله اعلم.

لقد امر الله تعالى النبي(ﷺ)باربعة امور هي التسبيح والتحميد والسجود(٦)والعبادة ليزول الضيق والحزن عنه فكيف تزيله هذه الاشياء؟ لتعليل هذا الامر وجوه منها ما قاله:(العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلايستوحش من فقدانها ولايستريح بوجدانها،وعند ذلك يزول الحزن والغم).(٧)

إن النبي(ﷺ)بشر. لكنه ليس كباقي البشر. لأنه يوحى اليه ؛وغيره من البشر لايوحى اليهم،وهو بطبيعته البشرية يضيق صدره احيانا ؛بسبب التكذيب المستمر والحرب الطويلة التي يشنها عليه اعداؤه ،وهي حرب لاهوادة فيها يهاجمون فيها النبي(ﷺ) من كل الجبهات مع افتقارهم فيها الى ابسط معايير الاخلاق العربية الجاهلية فهم يستهدفونه بدنيا وروحيا واجتماعيا...الخ.على المسلم عند مايضيق صدره ان يذكر الله تعالى بالتسبيح وغيره ،ويدعوه ويتضرع اليه سبحانه لاسيما في سجوده ،ويواصل عبادته والتقرب اليه فإن ذلك ؛يعين على تحمل مصائب الدنيا ويجعل الله تعالى يخففها او يرفعها عن عبده بالكلية.

المطلب الثالث: ملازمة النبي(ﷺ)للصبروالتسبيح.

١ـ ينظر: الكشاف:٥٦٦،وتفسير ابن كثير:٥٦١/٢.
٢ـ ينظر: تفسير ابن كثير:٥٦١/٢.
٣ـ تفسير القرطبي:٤٥/١٠.
٤ـ ينظر:المصدرنفسه.
٥ـ تفسير الرازي:١٧١/١٩.
٦ـ المراد من السجود هنا هو الصلاة لذلك قال ابن كثير:(كان رسول الله اذا حزبه امر صلى) تفسير ابن كثير:٥٦٠/٢.
٧ـ تفسير الرازي:١٧١/١٩.

قال الله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}. [1]

بعد ان قال تعالى:{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى}(٢)قال تعالى:((فأصبر))يقال:(صبرت على مااكره.وصبرت عما احب...وهو صبير القوم:الذي يصبر لهم ومعهم في امورهم)(٣)(وصبر الرجل حبس نفسه عن الجزع...والصبر على الشدة يفيد حبس النفس عن المقابلة بالقول والفعل)(٤)والصبراصطلاحا:(حبس النفس على مايقتضيه العقل والشرع اوعما يقتضيان حبسهما عنه)(٥).

وقد أتى لفظ الصبرفي القرآن الكريم على خمس اوجه هي:

الوجه الاول:الصبر يعني الصوم كما في قوله تعالى:{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}(٦)يريد الصوم والصلاة.

الوجه الثاني:الصبر هو الجرأة كما في قوله تعالى:{فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}(٧)اي: :فما أجرأهم على النار.

الوجه الثالث:الصبرأي الثبات على الشر كما في قوله تعالى:{أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ}(٨)اثبتواعلى عبادتها.

الوجه الرابع:الصبر هو الرضا كما في قوله تعالى:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ}(٩)يعني: ارض بقضاء ربك.

الوجه الخامس:الصبر هو بعينه كما في قوله تعالى:{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً}[1](٢).

١ـ سورة طه: الاية:١٣٠.
٢ـ سورة طه:الاية:١٢٨.
٣ـ اساس البلاغة:٢٤٧.
٤ـ الفروق اللغوية ـ تأليف ابي هلال ال الحسن عبدالله بن سهل العسكري ت نحو ٤٠٠ هـ ـ علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ ـ ٢٠٠٩م :٢٢٧.
٥ـ المفردات:٣٠٦.
٦ـ سورة البقرة:من الآية:٤٥.
٧ـ سورة البقرة: من الآية:١٧٥.
٨ـ سورة ص:من الآية:٦.
٩ ـ سورة الطور:من الآية:٤٨.

١ـ سورة ص:من الآية:٤٤.

((على مايقولون))ولما كان من قدر الله تعالى ان الكفار لن يموتوا بغير قبل اجالهم امر الله تعالى نبيه بالصبر على اقوالهم(٣)التي تعبر عن اتهامهم لك بالسحر والجنون والشعر(٤)والكهانة والكذب(٥)وغير ذلك(٦)حاشاه.(ولاشبهة في ان المراد ان يصبر على مايكرهه من اقوالهم)(٧).

(ولما كان الصبر شديد على النفس منافيا للطبع،لأن النفس مجبولة على النقائص ،مشحونة بالوساوس امرلأجل من يحتاج الى الكمال بما ينهض به من حضيض الجسم الى اوج الروح بمقامي التحلي بالكمالات والتخلي عن الرعونات،وبدأ بالاول لانه العون على الثاني،وذكر اشرف الحلي فقال:((وسبح بحمد ربك))(٨)والمراد من التسبيح في هذه الآية واحد من ثلاثة:

أ. قل سبحان الله والحمد لله(٩)وهذا حقيقي في اللفظ(١٠).

ب . نزهه تعالى عن السوء والنقائص[1]،وهذا حقيقي في اللفظ ايضا.(٢)

٢ـ ينظر:الوجوه والنظائر لالفاظ كتاب الله العزيز ـ تأليف الامام الشيخ ابي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ت ٤٧٨ هـ ـ تقديم وتحقيق عربي عبد الحميد علي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ:٣٠١ـ٣٠٢.
٣ـ ينظر:تفسير الرازي:١١٥/٢٢.
٤ـ ينظر:المصدر نفسه.
٥ـ ينظر:تفسير القرطبي:١٨٠/١١.
٦ـ ينظر:تفسير الرازي:١١٥/٢٢،والقرطبي:١٨٠/١١.
٧ـ تفسير الرازي:١١٥/٢٢.
٨ـ تفسير البقاعي:٥٧/٥.
٩ـ ينظر:البحر المحيط:٢٦٨/٦.
١٠ـ ينظر:المصدر نفسه.

١ـ ينظر: البحر المحيط:٢٦٨/٦،وتفسير البيضاوي:٦٢/١،وتفسير البقاعي:٥٧/٥
٢ـ ينظر:البحر المحيط:٢٦٨/٦.
٣ـ ينظر المصدر نفسه،وتفسير البقاعي:٥٧/٥،والجلالين:٤٢٥.
٤ـ ينظر البحر المحيط:٢٦٨/٦.
٥ـ صحيح البخاري،لمحمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي،تحقيق:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،بيروت،ط ٢،١٤٠٧هـ ،١٣٩/٦رقم الحديث(٦٣٣)،وصحيح مسلم ،لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،دار الجيل،بيروت لبنان،ط١:٤٣٩/١ رقم الحديث(٦٣٣).
٦ـ ينظر:تفسير البيضاوي:٦٢/١.
٧ـ تفسير الجلالين:٤٢٥، والالوسي:٥٥٨/٨.
٨ـ تفسير الجلالين:٤٢٥.

جـ . اي:صل لله.(٣)وهذا معنى مجازي.(٤)وهو المراد لما روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله(ﷺ)فنظر الى القمرليلة البدر فقال:((انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته فإن استطعتم الاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا))ثم قرأ هذه الاية.(٥)واحمد ربك الذي هداك(٦)((قبل طلوع الشمس))وهي صلاة الفجر(٧)((وقبل غروبها))وهي صلاة العصر(٨)((ومن آناء الليل))وهي صلاتي المغرب والعشاء(٩)((واطراف النهار))صلاة الظهر(١٠).

((وآنا الليل))اي:ساعاته جمع إنى وإنو بالياء والواو وكسر الهمزة وإناء بالكسر والقصر)(١١)قال العكبري:(قوله تعالى((ومن آناء الليل))هو في موضع نصب بسبح الثانية((واطراف))محمول على الموضع او معطوف على قبل،ووضع الجمع موضع التثنية لان النهار له طرفان،وقد جاء في قوله:{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ}(١٢)وقيل:لما كان النهار جنسا جمع الاطراف)(١٣).وقوله تعالى:((لعلك ترضى))ورد للفظ ((لعل))في القرآن الكريم معنيان هما:الاول:بمعنى الترجي كقوله تعالى:{لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}(١٤)يعني على ماترجواه منه.

الثاني:بمعنى كأنكم كقوله تعالى:{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ}[١]يعني كأنكم تخلدون(٢).

٩ـ المصدر نفسه.
١٠ـ المصدر نفسه.
١١ـ تفسير الالوسي:٥٥٨/٨.
١٢ـ سورة هود:من الاية:١١٤.
١٣ـ املاء ما من به الرحمن:٣٧٦.
١٤ـ سورة طه:من الاية:٤٤.

١ـ سورة الشعراء:من الاية:١٢٩.
٢ـ ينظر:الوجوه ولنظائر:للدامغاني :٤٥٠ـ٤٥١.
٣ـ ينظر:تفسير الجلالين:٤٢٥.
٤ـ سورة الفجر:الاية :٢٨.
٥ـ الحجة:١٥٠.
٦ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم،لهبة الله بن سلامة،تحقيق:د.مصطفى ديب البغا،دار المصطفى،دمشق،ط١ ،١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م:٩١.
٧ـ سورة طه:الاية:١٣١.
٨ـ سورة ق:الآية:٣٩.

ومعنى((ترضى))اي:بما سيعطيك الله تعالى من الثواب العظيم.(٣)و(قوله تعالى: ((لعلك ترضى))يقرأ بفتح التاء وضمها.فالحجة لمن فتحها:انه قصد ان يكون الفعل له ففتح،لانه من فعل ثلاثي.والحجة لمن ضم:انه دل بذلك على بناء الفعل لما لم يسم فاعله،والامر فيهما قريب لان من ارضي فقد رضي. ودليله قوله تعالى:{رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً}(٤)(٥)قال هبة الله البغدادي رحمه الله:(وكان هذا قبل ان تنزل الفرائض،ثم صار ذلك منسوخا باية السيف).(٦)وبعد هذه الاية قال الله تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}(٧)

والمطلوب هنا من المسلم في هذا المقام الاستغراق في التسبيح ،تسبيح في الصباح الباكر قبل شروق الشمس ،وتسبيح عند المغرب قبل غروب الشمس ،وتسبيح في ساعات الليل المظلمة ،وتسبيح في ساعات النهار المضيئة بالتسبيح نودع الليل ونستقبل النهار ،ونودع النهار ونستقبل الليل ولاننقطع عنه في أية ساعة من الساعات؛ليستولي الذكر على الذاكر فيتصل بالمذكور؛ فيمنحه قوة روحية معنوية ،وأخرى جسدية مادية على تحمل مايصدر عن الاعداء من اقوال ،وافعال شريرة.

تنبيه:

وردت في القرآن الكريم آية هي بمعنى الآية المدروسة في هذا المطلب؛لذلك لم افسرها واكتفيت بذكرها وهي قول الله تعالى:{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}.(٨).

المطلب الرابع:ذكر النبي(ﷺ)لداود عليه السلام.

قال الله تعالى:{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(١)

١ـ سورة ص:الآية:١٧.
٢ـ سورة ص:الآية:١٦.
٣ـ سورة الحاقة:الآية:١٩.
٤ـ سورة الحاقة: الآية:٢٥.
٥ـ سورة ص:الآية:١٧.
٦ـ ينظر:غريب القرآن:لأبن قتيبة:٣٧٨.
٧ـ تفسير الرازي:١٥٩/٢٦.
٨ـ تفسير النسفي:٤٤/٤.،وينظر:الكشاف:٩٢٩.
٩ـ ينظر:تفسير البقاعي:٣٦٩/٦،وتفسير الالوسي: ١٦٦/١٢.
١٠ـ نظم الدرر:٣٦٩/٦.
١١ـ ينظر:الكشاف:٩٢٩،البحر المحيط:٣٧٤/٧،وتفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
١٢ـ ينظر:المصادر نفسها.

لايتم معنى هذه الاية الا بذكر الاية السابقة لها وهي:{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ}(٢)إذ روى بعض المفسرين ان المشركين قالوا ذلك عندما نزل قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ}(٣)و{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ}(٤)يستهزئون بذلك وقالوا عجل لنا بهذا الكتاب قبل يوم الحساب فقال تعالى:{اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}.(٥)(٦)

وفي قوله تعالى:((اصبر على مايقولون))قال الرازي:(اعلم ان الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله(ﷺ)حيث قالوا:((انه ساحر كذاب))وقالوا على سبيل الاستهزاء((عجل لنا قطنا))امره تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال:((اصبر على مايقولون))(٧)اي:(فيك وصن نفسك من ان تزل فيما كلفت به من مصابرتهم)(٨)وعبر بلفظ المضارع ،فقال((يقولون))أي:ما يجدد المشركون قوله من الاقوال الباطلة المحزنة.(٩)(فإنه ليس لنقص فيك،ولكنه لحكم تجل عن الوصف،ومدارها زيادة شرفك ورفعة درجتك).(١٠)وقوله تعالى:((واذكر عبدنا داود))،اما للمشركين جهارا(١١)،واما في نفسك سرا .(١٢)وفي معناه على الاول وجهان :الاول:خوّفهم من المعصية بذكر ان داود عليه السلام مع ماله من مكانة عظيمة عند الله تعالى لما الم بماهو خلاف الاولى ؛بعث اليه الملائكة ،وعاتبه على مافعل فكيف بكم وانتم مقيمون على اكبر الكبائر؟!(١٣)وهي الشرك بالله تعالى.

والثاني :اذكر لهم قصص الانبياء السابقين عليهم السلام فإن ذكرك لذلك ؛برهان على صحة نبوتك. (١)

١٣ـ ينظر:تفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
١ـ ينظر:البحر المحيط: ٧/ ٣٧٤ ،وتفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
٢ـ ينظر:المصدران نفسهما.
٣ـ ينظر:الكشاف:٩٢٩،والبحر المحيط:٣٧٤/٧،
٤ـ ينظر:تفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
٥ـ اعراب القرآن:للنحاس:٨٦٣.
٦ـ الكشاف:٩٢٩.
٧ـ تفسير مجاهد ـ تصنيف ابي الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي ت ١٠٤هـ ضبط نصه وخرج احاديثه ابو محمد الاسيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ:٢٣١.
٨ـ ينظر: الكشاف:٩٢٩،و البحر المحيط:٣٧٤/٧،و نظم الدرر:٣٦٩/٦.
٩ـ صحيح البخاري:٥٠/٢رقم الحديث: (١١٣١).
١٠ـ ينظر: البحر المحيط :٣٧٤/٧،وتفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
١١ـ تفسير الالوسي:١٦٦/١٢.
١٢ـ اساس البلاغة للزمخشري:١٢.

وعلى الثاني له وجهان هما:الاول: تذكرقصص الانبياء السابقين عليهم السلام ومنهم داودعليه السلام فإنهم لما صبروا كانت عاقبتهم احسن العواقب ،وفرج الله عنهم ؛فذلك مما يعينك على الصبر على مايقولون.(٢)والثاني: تذكر في نفسك ما حدث لداودعليه السلام عندما عمل ماهو خلاف الاولى ؛لكي ثبت على مصابرتهم ،وتحمل اذاهم.(٣)

فالمراد بلفظ((اذكر))على القول الاول الذكراللساني،وعلى القول الثاني الذكر القلبي الذي هو بمعنى التذكر.(٤)وقوله تعالى:((ذا الايد))يقال:(الايد والآد كما يقال: العيب والعاب،ومنه رجل أيدٌ)(٥)ويقال:(فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد ،وكل شيء مما يتقوى به)(٦)قال مجاهد رحمه الله:(يعني القوة في طاعة الله،والبصر في الحق).(٧)وقوته عليه السلام كانت معنوية في طاعة الله تعالى(٨)عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)انه قال:(احب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود،واحب الصيام الى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه،وكان يصوم يوما ويفطر يوما...)(٩)،ومادية في بدنه(١٠)الا ان الالوسي رحمه الله قال:(الا ان ذلك غير مراد هنا)(١١)،وقوله تعالى:((انه أواب))يقال:(فلان أواه أواب تواب أي:رجاع الى التوبة ،وآبت الشمس:غابت)(١٢)وللأواب معنى واحد الا ان عبارات المفسرين اختلفت في بيانه ومنها:

أ . الأواب:هو الرجاع الى مرضاة الله.[1]وهو قول مجاهد ،وابن زيد(٢)قال مجاهد :(الاواب:الراجع عن الذنب، المنيب).(٣)

ب . الأواب:هو التوّاب.(٤)

جـ . الأواب:هو الثوّاب وهو مروي عن الضحاك رحمه الله.(٥)

د . انه الذي كلما ذكر مافعل استغفر الله منه.(٦)

١ـ ينظر:الكشاف: ٩٢٩،والترجمان عن غريب القرآن،لتاج الدين ابي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القرشي اليماني، قرأه وعلق عليه د.يحيى مراد ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط ١، ٢٠٠٤م ـ ١٤٢٥هـ : ١٣٤،وتفسير الجلالين:٦٠٠.
٢ـ ينظر:البحر المحيط:٣٧٤/٧.
٣ـ تفسير مجاهد: ٢٣١.
٤ـ ينظر:غريب القرآن :لابن قتيبة:٣٧٨
٥ـ ينظر:اعراب القرآن:للنحاس:٨٦٣.
٦ـ ينظر:المصدر نفسه.
٧ـ ينظر :البحر المحيط:٣٧٤/٣.
٨ ـ تفسير الالوسي:١٦٦/٢.
٩ـ ينظر:الناسخ والمنسوخ : لابي بكر العربي:١٩٠.

والمعاني هنا متشابهة فإن الانسان إذا رجع ،أوأناب ،أوتاب ،أو ثاب ،أوإستغفر: فقد عاد بعد ذنبه الى الله تعالى طالبا العفو والمغفرة.

وهناك قول آخر للسدي إذ فسره بالمسبّح(٧)وهو مروي عن عمر بن شرحبيل إذ قال:(انه المسبح بلغة الحبشة).(٨)وهذه الآية الكريمة هي واحدة من الآيات التي نسختها آيات القتال.(٩)وقد ذكرت الايات التي تلت هذه الاية الحديث عن تسبيح الجبال والطيور وغيرها مع سيدنا داود عليه السلام.

ان مما يجب على كل مسلم يتعرض لأقوال المنافقين الحاقدين او المبطلين ان يتذكر ما تعرض له اكرم الخلق سيدنا محمد(ﷺ)من ذلك وكيف صبر لأمر الله تعالى واشتغل بتزكية النفس وتطهيرها؛حتى مكنه الله تعالى من اعدائه ،وأعلى شأنه رغما عن انوفهم فإن ذلك يهون على المسلم كثيرا مما يلاقي من اذى الاعداء.وقبل ان اختم الكلام في تفسير هذه الآية الكريمة اقول: انه لابد من وجود صلة وثيقة بين امر النبي(ﷺ)بذكر داود عليه السلام ،وامره بالصبر على مايقول المشركون في حقه وربما كان معنى الرابط هنا ان مايقوله المشركون في حقك شبيه بما قاله اليهود في حق اخيك داود عليه السلام سابقا فكلاهما مجرد كذب وافتراء وسيظهر الله تعالى ذلك للخلق اجمعين.والله اعلم.

المطلب الخامس:عدم كون النبي(ﷺ)جباراً.

قال الله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}.(١)

١ـ سورة ق:الآية:٤٥.
٢ـ تفسير البقاعي:٢٦٨/٧.
٣ـ ينظر:تفسير البيضاوي:٤٢٦/٤،والنسفي:٢٢٠/٤،والبحرالمحيط:١٢٩/٨.
٤ـ ينظر تفسير الجلالين:٦٨٩.
٥ـ ينظر:اسباب الواحدي:٣٢٨.
٦ـ سورة ق:من الآية:٤٣.
٧ـ ينظر:تفسير الرازي:١٦٤/٢٨.
٨ـ تفسير الرازي:١٦٤/٢٨.
٩ـ ينظر:غريب القران:لابن قتيبة:٤١٩،و ناسخ والمنسوخ:لابن العربي:٢٠٧، وتفسير الالوسي : ١٣/ ٣٤٤.
١٠ـ ينظر: غريب القران:لابن قتيبة:٤١٩
١١ـ ينظر:الكشاف ١٠٤٩،وتفسيرالنسفي:٢٢٠/٤
١٢ـ سورة ابراهيم: الاية: ١٥.

قوله تعالى لحضرة النبي(ﷺ):((نحن اعلم بما يقولون))((نحن)اي لاغيرنا ولا هم انفسهم((اعلم))...((بمايقولون))في الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره)(٢)وفيه تسلية للنبي(ﷺ)عما يصيبه بسبب اقوال المشركين،وتهديد لهم.(٣)والمراد هنا هم مشركوا قريش(٤)او اليهود الذين زعموا ان الله خلق الخلق في ستة ايام ثم تعب واستراح في اليوم السابع وهوقول الحسن وقتادة رحمهما الله(٥)وقد استدل بعض العلماء على التهديد الظاهر بالجمع بين قوله تعالى:((والينا المصير))(٦)و:((نحن اعلم))(٧)قال الرازي رحمه الله:(تسلية قلب النبي والمؤمنين وتحريض لهم على ما امر به النبي من الصبر والتسبيح،اي اشتغل بما قلناه ولاتشغلك الشكوى الينا فانا نعلم اقوالهم ونرى اعمالهم،...ولاتقل باني ارسلت اليهم لاهديهم ،فكيف اشتغل بما يشغلني عن الهداية وهو الصلاة والتسبيح،فانك مابعثت مسلطا على دواعيهم وقدرهم،وانما امرت بالتبليغ،وقد بلغت فاصبر وسبح وانتظر اليوم الذي يُفصل فيه بينكم).(٨)وقوله تعالى:((وما انت عليهم بجبار))أي:ماانت عليهم بمسلط (٩)وليس هم من اجبار الرجل للرجل على امر بمعنى قهره عليه لان صيغة فعال لاتأتي منه(١٠)وقد جوّز بعضهم ان يكون بهذا المعنى.(١١)(والجبار فعال من الجبرية ،وهي غلظة طبع للظالم،والجبار...يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من لتعالي:لايستحقها،ولايقال الا للذم نحو:{وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ}(١٢)

ويقال للقاهر غيره جبار،نحو:((ومانت عليهم بجبار))والجبار في وصفه تعالى من:جبرت الفقير؛لانه يجبر الناس بفائض نعمه أو من الجبر وهو القهر؛لانه يقهرهم على مايريد)[1]بل انت داع ومنذر وهادي ولست مجبرا للناس على الايمان(٢)وهو بيان لعدم حلول وقت العذاب لأن النبي(ﷺ)لما قام باداء الرسالة على الوجه الاكمل فلم يؤمنوا كان يقول هذا وقت العذاب فقال الله تعالى انه اعلم بما يقولون وان النبي(ﷺ)ليس بمسلط عليهم ولكن واجبه ان يذكرهم بعذاب الله ان لم يؤمنوا ويؤيد

١ـ التوقيف على مهمات ،للشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي،تحقيق:جلال الاسيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت ـ لبنان،ط١ ،٢٠١١م:١٥٣.
٢ـ ينظر:تفسير الرازي:١٦٥/٢٨،والنسفي: ٢٢٠/٤
٣ـ ينظر: تفسيرالرازي:١٦٥/٢٨.
٤ـ ينظر:تفسيرالالوسي:٣٤٤/١٣.
٥ـ التوقيف:للمناوي:١١٢.
٦ـ ينظر:تفسير الرازي:١٦٥/٢٨.
٧ـ تفسير القرطبي:٢٢/١٧.
٨ـ ينظر:التوقيف:للمناوي:٤٤١.
٩ ـ ينظر:الكشاف: ١٠٤٩ ،وتفسير الجلالين :٦٨٩
١٠ـ ينظر: تفسيرالبيضاوي:٤٢٦/٤،والنسفي:٢٢٠/٤،
١١ـ سورة النازعات:الاية:٤٥.

هذا ما ذكره المفسرون من نزول هذه الاية قبل آية القتال(٣).وقيل: ان المراد من هذا الكلام ان يكون متحليا بالحلم تاركا للغلظة في شأنهم.(٤)وقوله:((فذكر بالقرآن))التذكير :محاولة القوة العقلية لاسترجاع مافات بالنسيان، والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو اعم من الدلالة والتذكير والوعظ).(٥)

ويحتمل تذكير المشركين بالقرآن الكريم وجوه هي:

الاول:تلاوة القرآن على المشركين وتذكيرهم بما فيه لينتفعوا به.

الثاني:بين لهم من خلال اعجاز القرآن الكريم انك رسول الله ليجب عليهم اتباعك.

الثالث:ذكرهم بموجب مافي القرآن من آيات تأمر بتذكيره.(٦).

((من يخاف وعيد))قال ابن عباس رضي الله عنهما:(قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت:((فذكر بالقرآن من يخاف وعيد))أي:ما اعددته لمن عصاني من العذاب ؛فالوعيد العذاب والوعد الثواب)(٧)الوعد:التعهد بالخير،والوعيد في الشر لاغيره (٨)والمراد هنا المؤمن دون الكافرالمصر على كفره(٩) لانه هو الذي ينتفع اذا ذكر اما غيره فلا(١٠)وهو كقوله تعالى:{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}(١١)

واثبت الياء في كلمة((وعيدي))يعقوب رحمه الله في حالتي الوقف والوصل،واثبتها ورش رحمه الله في الوصل فقط،وحذفها الباقون من القراء في الحالتين.[١]

وقد أمر الله تعالى النبي(ﷺ)بالعمل بمفهوم هذه الاية قبل تشريع الجهاد في سبيل الله(٢)

وقد ذهب كثير من العلماء رحمهم الله الى نسخ هذه الاية باية السيف(٣)ومنهم القاضي المالكي رحمه الله اذ قال:(هذا منسوخ بالامر بالقتال.وقد بينه بقوله:((امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا الاله الا الله...)(٤)(٥)وبهذه الاية الكريمة ختمت هذه السورة المباركة.

ان حضرة النبي(ﷺ)لم يكن جبارا بأي معنى من المعاني التي تحتملها هذه اللفظة بل كان(ﷺ)نذيرا وبشيرا ومعلما وهاديا متواضعا يتصف بالرحمة العظيمة والرأفة الكبيرة يخفض جناحه للمؤمنين يدعو الناس الى الدخول في دين الاسلام لينعموا بنعمة الاسلام وينجون من شقاء الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقد كان يحزن حتى على

١ـ ينظر:تفسير القرطبي:٢٢/١٧.
٢ـ ينظر:تفسير الجلالين:٦٨٩.
٣ـ ينظر:الناسخ والمنسوخ: لهبة الله:١١٧ ،وتفسير الالوسي:٣٤٤/١٣.
٤ـ صحيح البخاري:٤٨/٤ رقم الحديث: (٢٩٤٦)،وصحيح مسلم:٥٢/١ رقم الحديث: (٢١).
٥ـ الناسخ والمنسوخ:لابن العربي:٢٠٧.

اعدائه الذين بالغوا في اذيته حينما يعرضون عن الايمان حتى عاتبه الله تعالى على ذلك الحزن الشديد فكيف يكون(ﷺ)جبارا من الجبابرة؟!

ان مما يجب على كل مسلم اذا مر بظروف مماثلة ان يوقن انه بعين الله تعالى فهو يسمع ويرى كل شيء ولايغفل عن نصرة اوليائه ابدا،وان يبذل جهده في اعداد العدة لمقارعة المشركين مع صدق النية للجهاد في سبيل الله تعالى وتذكير نفسه واخوانه وادامة الصلة بينهم لكي لاينقطعوا عن منهج الاسلام ويبقوا على اتم الاستعداد لنصرة دين الله تعالى متى يسر الله جل وعز لهم ذلك.

المطلب السادس:هجر النبي(ﷺ)للمشركين.

قال الله تعالى:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}[1]

قوله تعالى:((واصبر))(يعني انك لما اتخذتني وكيلا(فاصبر على مايقولون)وفوض امرهم الي فانني لما كنت وكيلا اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك باصلاح امور نفسك)(٢)قال برهان الدين البقاعي رحمه الله:((واصبر)اشارة الى عظم الصبر

١ـ سورة المزمل: الآية:١٠.
٢ـ تفسير الرازي:١٥٩/٣٠.
٣ـ تفسير البقاعي :٢١٠/٨.وقول البقاعي رحمه الله: غير دقيق لأنهم وصلوا الى الاذى بالفعل حتى عصمه الله تعالى وقد ذكرت كتب السيرة الشريفة ذلك ،اما اقتصار الاية على القول فقط فذلك لانها نزلت بسبب القول لاالفعل والله اعلم.
٤ـ ينظر:تفسير الالوسي:١١٩/١٥.
٥ـ ينظر:تفسير النسفي:٣٧٠/٤.
٦ـ التوقيف: للمناوي:٤٤٥ـ٤٤٦.
٧ـ الكليات: للكفوي:٨٠٩.
٨ ـ سورة المؤمنون:من الاية:٦٧.
٩ـ سورة المزمل:من الاية:١٠.

بتعديته بحرف الاستعلاء فقال:(على ما)وخفف الامر بالاشارة الى انهم لايصلون الى غير الاذى بالقول)(٣)

وقوله تعالى:((على مايقولون))من الخرافات التي تسبب لك الالم مثل قولهم يفرق بين الحبيب وحبيبه وقد ورد بعض ذلك في روايات اسباب النزول.(٤)أو قولهم بوجود صاحبة وولد لله تنزه عن ذلك ،وكون النبي(ﷺ)ساحرا وشاعرا(٥)حاشاه.

وقوله تعالى:((واهجرهم))(الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن او بالسان او بالقلب.والهجرة والمهاجرة في الاصل: مفارقة الغير ومتاركته،ولكن خصها شرعنا بترك الوطن الذي فيه الكفار والانتقال الى دار الاسلام)(٦)و(الهجر،بالفتح:الترك والقطيعة،وبالضم :الفحش في النطق.وهجر فلان:أي اتى بهجر من الكلام عن قصد.وأهجر المريض: أتى بذلك عن غير قصد)(٧)

وقد اتى لفظ (الهجر)في القرآن الكريم على اربعة أوجه هي:

١. سب النبي(ﷺ)كما في قوله تعالى:{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ}(٨)

٢. الانفراد والعزلة كما في قوله تعالى:{وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}(٩)

٣. الانتقال من بلد الى آخر من اجل سلامة الدين طاعة لله تعالى كما في قوله تعالى على لسان سيدنا لوط (عليه السلام):{إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي}(١)

٤. الاعراض عن الزوجة في الفراش كما في قوله تعالى:{وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}(٢)(٣).

١ـ سورة العنكبوت:من الاية:٢٦.
٢ـ سورة النساء: من الآية:٣٤.
٣ـ ينظر:النظائر: للدامغاني:٤٥٩ـ٤٦٠.
٤ـ ينظر:المفردات:٥٦٨.
٥ـ تفسير البقاعي:٨/٢١٠.
٦ـ الكشاف:١١٥٢.،والترجمان:١٨٣.
٧ـ المصدر نفسه،وتفسيرالقرطبي:١٩/٣٤.
٨ ـ ينظر: تفسيرالرازي:٣٠/١٥٩،وتفسيرالقرطبي:١٩/٣٤.
٩ـ ينظر:تفسير القرطبي:١٩/٣٤.
١٠ـ الناسخ والمنسوخ:لابن العربي:٢٢١.،وقال هبة الله البغدادي:(نسخ ذلك باية السيف) ص١٢٩.
١١ـ سورة المزمل: من الاية: ١١.
١٢ـ ينظر:تفسير القرطبي:١٩/٣٤ ،والبيضاوي:٢/٣٥٨
١٣ـ ينظر:تفسير البيضاوي:٢/٣٥٨.
١٤ـ سورة المزمل:من الاية:١١.

وهجر النبي(ﷺ)للمشركين هنا يحتمل ان يكون بالبدن واللسان والقلب وللمسلم ان يفعل ما يناسبه اذا مر بمثل تلك الحال.(٤)

(ولما كانت مجانبة البغيض الا عند الاضطرار مما يخفف من اذاه قال)(٥)((واهجرهم هجرا جميلا))(والهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالطة والمداراة والاغضاء وترك المكافأة)(٦)قال ابو الدرداء رضي الله عنه :(إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وإن قلوبنا لتقليهم)(٧)وقد كان ورود هذا الامر قبل صدور الامر بالقتال(٨)ثم امره الله تعالى بعد ذلك بقتالهم وقتلهم فنسخت اية القتال الامر بالترك وهو قول قتادة رحمه الله وغيره(٩)قال بعض العلماء:(نسخ الصبر والترك بايات القتال:ونسخ الهجر والاعراض وامر بالاقبال والقتال والقتل، والهجر الجميل الذي كان مأمورا به هو الاعراض المجرد من غير تعرض لأذاية ولااشارة الى ولاية)(١٠)ثم اكمل سبحانه وتعالى مخاطبا النبي(ﷺ)فقال:{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ}(١١)نزلت في زعماء قريش(١٢)يعني:ارض بي للانتقام من هؤلاء المنعمين(١٣){وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً}(١٤)

وفيه قولان:

احدهما:سيمهلون الى يوم بدر[١]ويؤيده قول امنا عائشة رضي الله عنها:(لما نزلت هذه الاية لم يكن الايسيرا حتى وقعت واقعة بدر).(٢)

والثاني:مدة الحياة الدنيا الى يوم القيامة.(٣)

والاول اقرب وان كانت الايات التي بعد هذه الاية تشهد للثاني؛لانه اذا كان الى يوم القيامة لم يكن قريبا، بالاضافة الى ان اغلب زعماء قريش وهم اولوا النعمة قد لقوا حتفهم في معركة بدر.

لقد صبر النبي(ﷺ)على مايسمعه من اقوال المشركين المحزنة وما يلقاه من افعالهم المؤذية صبرا عظيما فأستحق ان يستريح قليلا ليستعيد نشاطه للدعوة الى الله تعالى مجددا فقيل له:((اهجرهم هجرا جميلا)) وعند انتهاء ذلك الهجر سيختلف اسلوب الدعوة الى الله بعد ذلك كليا وستحدث معارك يُقتل فيها كثير من الكفار المصرّين على عدم الاقرار لله تعالى بالوحدانية ولك بالرسالة.

١ـ ينظر:تفسير القرطبي:١٩/٣٤،والنسفي:٤/٣٧٠.
٢ـ تفسير القرطبي:١٩/٣٤.
٣ـ ينظر:تفسير القرطبي:١٩/٣٤،والنسفي:٤/٣٧٠.

الخاتمة واهم النتائج:

بعد ان اتممت بحثي هذا بعون الله تعالى وتيسيره توصلت الى عدد من النتائج وقد كان من اهمها وابرزها:

١. إن جميع الآيات التي تناولتها في هذا البحث منسوخة،ولكن ذلك لايعني عدم امكانية استفادة المسلم منها ؛بل ربما مثلت له الحل المناسب والامثل في بعض الاحوال لأن دين الاسلام عاد غريبا.

٢. مثلت هذه الآيات . وهي كلها ايات مكية . فترة زمنية من مرحلة من مراحل الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة حيث لم يكن قد أذن للمسلمين بالقتال انما كانوا مأمورين بالصبر والتحمل وحسب.

٣. يتضح من خلال تفسير هذه الآيات الكريمة ان كفر بعض زعماء قريش كان عن علم لاعن جهل بحقيقة النبي(ﷺ)وقد دفعهم الى ذلك ماتحمله قلوبهم المريضة من الحسد.

٤. لقد كان النبي(ﷺ)يحزنه مايقوله المشركون من الاقوال الباطلة في حق الله تعالى قبل ان يحزنه مايقال منها في حقه.

٥. امرالله تعالى حضرة النبي(ﷺ)بأن لاينشغل بالرد على اقوال المشركين ؛لان ذلك يلهيه عن عبادة الله تعالى ،والدعوة الى دينه العظيم وذلك مايبتغيه المشركون يقينا.

٦. وجه الله تعالى حضرة النبي(ﷺ)الى سلاحين فعالين في مثل ظروف المعركة التي يخوضها ضد المشركين وهما: الصبر ،والذكر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. اساس البلاغة،للامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ ، تحقيق:الاستاذ عبد الرحيم محمود،دار المعرفة،بيروت،لبنان.

٢. أسباب النزول،لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري،تعليق وتخريج : د.مصطفى ديب البغا،دار المصطفى ،دمشق ،ط ١،١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

٣. اعراب القرآن،لابي جعفر بن محمد بن اسماعيل النحاس ت ٣٣٨ هـ ،اعتنى به: الشيخ خالد العلي،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط ٢،١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م.

٤. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن،تأليف ابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العبكري ٥٣٨. ٦١٦ هـ راجعه وعلق عليه: نجيب الماجدي ،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ، ٢٠٠٧م . ١٤٢٨ هـ.

٥. انوار التنزيل واسرار التأويل ،تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين ابي سعيد عبدالله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥ هـ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط٤ ، ٢٠٠٨م . ١٤٢٩هـ.

٦. البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ،تحقيق: عادل احمد واخرون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،٢٠٠١م . ١٤٢٢هـ .

٧. التذكرة في القراءات ،تأليف الشيخ ابي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، حققه:د . سعيد صالح زعيمة،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان، ط ١ ،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٨ . الترجمان عن غريب القرآن،لتاج الدين ابي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القرشي اليماني، قرأه وعلق عليه: د.يحيى مراد ،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط ١، ٢٠٠٤م . ١٤٢٥هـ .

٩. تفسير الامامين الجلالين بهامش القرآن الكريم ،العلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلي، والشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ،عالم الكتب ،بيروت.

١٠. وتفسير غريب القرآن ،تأليف ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ،تحقيق السيد احمد صقر،المكتبة العلمية ،بيروت ،١٤٢٨هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم،للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير،دار المفيد،بيروت، لبنان.

١٢. التفسير الكبير، او مفاتيح الغيب للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ٥٤٤. ٦٠٤ هـ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط٣ ،٢٠٠٩م.

١٣. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ،تأليف ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ . ٥٣٨هـ . اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان ،ط٢،٢٠٠٥. ١٤٢٦هـ.

١٤. تفسير مجاهد ،تصنيف ابي الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي ت ١٠٤هـ ضبط نصه وخرج احاديثه: ابو محمد الاسيوطي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط١ ،٢٠٠٥م ،١٤٢٦هـ.

١٥. التوقيف على مهمات ،للشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي،تحقيق:جلال الاسيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط١ ،٢٠١١م.

١٦. والجامع لاحكام القرآن ،لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ت ٦٧١هـ ،اعتنى به وصححه :الشيخ هشام سمير البخاري ،دار احياء التراث العربي ،ط١. ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ،تأليف العلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ،دار احياء الثراث العربي ،بيروت.

١٨. صحيح البخاري . محمد بن اسماعيل ابو عبدالله البخاري الجعفي . تحقيق د .مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير اليمامه . بيروت . ط ٢ . ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

١٩. صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء التراث العربي . بيروت.

٢٠. الفروق اللغوية ،تأليف ابي هلال ال الحسن عبدالله بن سهل العسكري ت نحو ٤٠٠ هـ ،علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود ،بيروت ،لبنان ،ط ١ . ٢٠٠٩م.

٢١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،لابي البقاء ايوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ت ١٠٩٤هـ ،تحقيق: د .عدنان درويش،ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،ط٢ ،١٤٣١هـ ٢٠١١م.

٢٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل الامام الجليل العلامة ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ،تحقيق مجدي منصور ،المكتبة التوفيقية ،القاهرة ،مصر.

٢٣. معجم مفردات الفاظ القرآن ،تأليف العلامة ابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعرف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٣هـ ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده: ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ٢٠٠٤م . ١٤٢٥هـ.

٢٤. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، للقاضي أبي بكرمحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن العربي المعافري المالكي،وضع حواشيه:الشيخ زكريا عميرات،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط ٤.

٢٥. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم،لهبة الله بن سلامة،تحقيق:د.مصطفى ديب البغا،دار المصطفى، دمشق،ط١ ،١٤٣١هـ . ٢٠١٠م

٢٦. نظم الدررنظم الدرر في تناسب الايات والسور ،برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ ،تحقيق عبدالرزاق غالب المهدي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط ٢ ،٢٠٠٢م . ١٤٢٤هـ.

٢٧. الوجوه والنظائر لالفاظ كتاب الله العزيز ،تأليف الامام الشيخ ابي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ت ٤٧٨هـ ،تقديم وتحقيق عربي عبد الحميد علي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط١ ،٢٠٠٣م . ١٤٢٤هـ.